بسم الله الرحمن الرحيم

الرأسمالية لا تفهم سوى لغة النفعية البحتة

الخبر:

نشرت صحيفة وول ستريت جورنال مقالاً لروبي ويلان وآمريث رامكومار ناقشا فيه مدى الخطر الذي قد تشكله شركة إنفيديا، عملاق معالجات الذكاء الاصطناعي، على أمن أمريكا وذلك بعد فضيحة العلاقة الغرامية لرئيس الشركة.

التعليق:

تكشف الأحداث المتسارعة والمشاهد السياسية والاقتصادية الراهنة عن الحقيقة العارية للرأسمالية المعاصرة؛ ألا وهي أنها منظومة لا تفهم سوى لغة النفعية البحتة، وتفتقر لأي ضوابط أخلاقية، ولا تتورع عن استغلال أي شيء - بدءاً من العلاقات الشخصية ووصولاً إلى مقدرات الشعوب - في سبيل تحقيق الأرباح والمكاسب والمنافع الذاتية.

ويتجلى هذا المنطق النفعي بأوضح صورة في قضية رئيس شركة إنفيديا، جنسن هوانغ، التي تتشابك بين التكنولوجيا والاستخبارات. ففي الوقت الذي خضعت فيه شركة ميغاسبيد السنغافورية لتحقيقات حول تهريب شرائح الذكاء الاصطناعي إلى الصين على خلاف القانون، وفتح تحقيق بشأن ارتباط سيدة الأعمال أليس هوانغ بالمخابرات الصينية أثناء علاقتها بهوانغ، نجد أن المحرك الأساسي للعملاق التكنولوجي لم يكن المصالح العليا للدولة أو الأمن القومي، بل تحصيل الأرباح والمكاسب؛ فقد ضغطت شركة إنفيديا بقوة على الإدارة الأمريكية للسماح لها ببيع الشرائح الإلكترونية المتقدمة للصين. إن هذا الإصرار التجاري، حتى في أحلك أوقات التنافس الجيوسياسي، يثبت أن الرأسمالية لا ترى في التكنولوجيا المتطورة أو العلاقات الغرامية سوى أدوات لتعظيم الثروة عندهم.

وليس المشهد الاقتصادي الغربي بأحسن حالاً؛ إذ يمتد الطمع والنهج المالي المتهور ليضرب اقتصاد بريطانيا الذي حذر خبراء من مواجهته أزمة قلبية اقتصادية بسبب السياسات الحكومية. لقد أدى الافتقار إلى المصداقية في نظر أسواق المال وارتفاع تكلفة الاقتراض إلى أعلى مستوياتها بين دول مجموعة السبع إلى جعل البلاد على حافة الهاوية وأكثر هشاشة من أي وقت مضى. وهنا تتضح مجدداً حقيقة النظام الرأسمالي الذي يدفع الحكومات إلى التضحية بالاستقرار المجتمعي وتقديم مسكنات الديون والعجز؛ إذ ينتهي المطاف دائماً بتفضيل أرباح الأسواق والمؤسسات المالية على حماية الطبقات الأفقر التي تتحمل التخفيضات والضغوط الأكثر قسوة. فالنظام المالي يستنزف الاحتياطيات لمصالح ضيقة دون أي رادع أخلاقي يراعي حماية الفئات المستضعفة.

إن هذه الشواهد مجتمعة تؤكد أن العالم الذي تديره لغة المنافع والتكسب الشره - سواء عبر صفقات شرائح الذكاء الاصطناعي، أو مضاربات الأسواق المالية، أو الحسابات السياسية - هو عالم منزوع القيم والأخلاق، يُضحى فيه بالأمن، والعدالة، ورفاه الشعوب على مذبح الأرباح والمكاسب الذاتية، فمتى سينعم العالم بنظام ينشر العدل والأمن للبشر؟

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

حسام الدين مصطفى